جوامع كتاب يحيى النحوي في "الردّ على أرسطوطاليس"

كرستيان وايلدبرغ

ترجمة: سعيد البوسكلاوي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
مؤسسة دراسات وأبحاث

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

جوامع كتاب يحيى النحوي في "الردّ على أرسطوطاليس"

تأليف: **كرستيان وايلدبرغ**
تقديم وترجمة: **سعيد البوسكلاوي**

الملخص التنفيذي:

لا جدل في أنّ أهميّةَ هذه الدراسة المترجمة تكمن في نقطتين أساسيتين هما:

أولاً: أنّ الباحث يعمل على التعريف بشخصية فكرية كبيرة قلّتْ الدراسات والأبحاث فيها، وهو يحيى النحوي، أو ما يسمّى فِلوبونُس (John Philoponus)، وهو فليسوف يونانيّ إسكندراني، نسبة إلى مدرسة الإسكندرية، التي افتتحها أمونيوس وأفلوطين.

والنقطة الثانية: بيان دور يحيى النحوي في تاريخ الفلسفة العربية الوسيط، في إثارة السجال الفكري والمذهبي الحاد، حول قِدم العالم، وعالمي الكون والفساد، والجسم السماوي، التي ترسّخت في مكتوبات الفلاسفة المسلمين، وغيرهم من الملل الأخرى، على طريقة الاستدلال الأرسطي.

ومن هنا، كانَ كتاب (**الرد على أرسطوطاليس**)، من أهمّ الكتب الفلسفية، التي ألفّها فِلوبونُس، وقد فُقِدَ في أصله اليوناني والعربي. بيدَ أنّ كرستيان وايلدبرغ استطاع أن يترجم الشذرات المبثوثة في نصوص أمبليقيوس والفارابي، باعتبارهما من أبرز خصوم يحيى النحوي ردّاً على أطروحته؛ إذ كان هذان الفيلسوفان يعملان بالطريقة الأرسطية المعلومة، التي مفادها استحضار النص، ثمّ الردّ عليه جملةً وتفصيلاً. ونخلُص إلى أنّ المترجم قد سعى إلى جمع كلّ الشذرات، لترجمتها، ونقلها إلى اللسان الإنجليزي.

يضمُّ كتاب (**الردّ على أرسطوطاليس**)، كما بيَّنَ الباحث والمترجم، ستّ مقالاتٍ مبتدؤها النظر في نقد الجسم الأول، والأثير، الذي زعم أرسطو أنّه من مكوّنات الجسم السماوي، وأنّ هذا لا يجعلُ على الإطلاق تفرّدَ وأفضليةَ الحركة الدائرية السماوية على الحركة المستقيمة الأرضية؛ لأنّهما من طبيعة واحدة، حسب كلام النحوي، مشيراً إلى أنّ الخلل، لدى المعلم الأوّل، حاصلٌ في حدّه للتام. وأمّا منتهاه؛ أي كتاب الرد، فكان ينحصر في مراجعة أدلة أرسطو في القول إنّ الجسم السماوي نار، وإنّ الأجرام السماوية لا فانية، ولا فاسدة، لأنّها لا ضدّيةَ لها، والقول الأرسطي في أنّ الزمان والحركة أزليّان.

وبكلمة، نقول إنّ النظرَ في مقول يحيى النحوي، الفيلسوف النصراني اليوناني الإسكندراني، هو النظر في آثاره على المتأخرين من فلاسفة الإسلام والمتكلمة، لاسيّما حول مسألة قِدَمِ العالم والمادة.

تقديم:

ننقل، ههنا، إلى العربيّة، جوامع كتاب يحيى النحوي في **الردّ على أرسطوطاليس**، التي وضعها كرستيان وايلدبرغ (Christian Wildberg)، مترجم الكتاب، أو بالأحرى الشذرات المتبقيّة منه، إلى الإنجليزيّة[1]. والكتاب من تأليف الفيلسوف اليونانيّ النصرانيّ الإسكندرانيّ يحيى النحوي فِلوبونُس (John Philoponus)، الذي عاش في القرن السادس الميلادي، وهو صاحب شروحات كثيرة على أرسطو[2]، وردود قويّة على الفلاسفة، ومنهم أرسطو نفسه، وبرقلس[3]، وغيرهما، في مسألة قِدَم العالم، وما يرتبط بها من قضايا فلسفيّة، وعلميّة دقيقة. ولعلّ أهمّية هذه الجوامع الأساسيّة تكمن في كونها تقدّم أهمّ أدلّة يحيى النحوي، ومعها أدلّة أرسطو المردود عليه في هذه المسائل، وتضعها بين يدي القارئ مختصرة، ومتحرّرة من سياقاتها، وأقيستها التفصيليّة.

ولعلّه من المفيد الإشارة إلى أنّ كتاب **(الردّ على أرسطوطاليس)** يُعَدّ مؤلّفاً فلسفيّاً نقديّاً فريداً من نوعه في العصر الكلاسيكي. وعلى الرُّغم من قدره السيِّئ، فقد كان له تأثيرٌ قويّ في تاريخ الفلسفة، والعلم، والدين، لا تضاهيه فيه، ربّما، سوى نصوص أفلاطون، وأرسطو طوال العصر القديم المتأخّر والوسيط؛ إذ طَبع تاريخ الفكر الفلسفي، والعلمي، والكلامي، اللاحق بقوّة، وأسهم في تطوير كثير من العلوم بشكل مباشر، أو غير مباشر. ففي خِضمِّ ردوده على أرسطو، قدّم يحيى النحوي، في هذا الكتاب، أطروحات علميّة جديدة تماماً، وسابقة على عصره، في الكوسمولوجيا، والبصريّات، والديناميكا، وغيرها، مهّدت، بشكل أو بآخر، لبزوغ العلم الحديث[4]. ومن المؤكّد أنّ الكتاب تُرجِمَ إلى العربيّة، واطّلع عليه المسلمون، وتداولوا أفكاره، وتفاعلوا معها، أخذاً وردّاً[5].

---

(1) انظر:

John Philoponus, Against Aristotle, on the Eternity of the World, fragments assembled and translated into English by Christian Wildberg, London: Duckworth, 1987.

(2) شرح منطق أرسطو والسماع الطبيعي والكون والفساد والآثار العلويّة، وغيرها.

(3) صنّف في الردّ على برقلس في قدم العالم، قبل الردّ على أرسطو. وقد تُرجِم إلى الإنجليزيّة في أربعة أجزاء، وهي على التوالي:

John Philoponus, Against Proclus On the Eternity of the World 1-5, translated by Michael Share, Ithaca: Cornell University Press, 2005; " ", Against Proclus On the Eternity of the World 6-8, translated by Michael Share, London: Duckworth, 2005; " ", Against Proclus On the Eternity of the World 9-11, translated by Michael Share, London: Duckworth, 2010; " ", Against Proclus On the Eternity of the World 12-18, translated by James Wilderding, Ithaca, NewYorl: Cornell University Press, 2006.

(4) وقد تمّ إبراز كثير من هذه الجوانب منذ أبحاث بيار ديهام في الكوسمولوجيا، وإرنست مودي في الديناميكا، ودي غروت في البصريّات وغيرهم. انظر:

Pierre Duhem, Le système du monde. Histoire des doctrines cosmologiques de Platon à Copernic, Paris: Hermann, 1913 ; Ernest Moody, 'Gallileo and Avempace: The Dynamics of the Leaning Tower Experiment,'

غيرَ أنّ من المؤسف أنّ هذا الكتاب مفقود في أصله اليوناني، كما في ترجمته العربيّة أيضاً. ومن حسن الحظّ أنّه احتُفِظَ بمقاطع مهمّة منه ضمن ردود خصوم يحيى النحوي عليه، لاسيّما المشّائين منهم، وعلى رأسهم معاصره سمبليقيوس، ولاحقه الفارابي، اللذين هبّا للردِّ عليه، وتفنيد أطروحاته، وأدلتّه، انتصاراً للمعلّم الأوّل. فقد كتب سمبليقيوس ردوداً قويّةً عليه في سياق شروحاته على أرسطو، وهو، في ذلك، يُورِدُ مقاطعَ بأكملها ليحيى النحوي ثمّ يناقشها؛ وكذلك فعل الفارابي، الذي احتفظ بمقاطع من هذا الكتاب في سياق ردِّه، أيضاً، على هذا الفيلسوف، لاسيما في رسالته (**في الردّ على يحيى النحوي فيما ردّ به على أرسطوطاليس**). وقد عمد كرستيان وايلدبرغ -كما سبق القول- إلى جمع هذه المقاطع، وترجمتها إلى الإنجليزيّة، مع تقديم جوامع مفيدة لها، قدّم بها ترجمته لهذا الكتاب، أو بالأحرى للشذرات المتبقّية منه[6]. وهي شذرات، على الرغم من أنّها موجزة وقليلة، مقارنة بحجم الكتاب الأصلي، تقدِّم فكرةً شبه مكتملة عن أهمّ مضامين كتاب (**الردّ على أرسطوطاليس**)، وتُعرِّف بالقضايا، التي يناقش فيها يحيى النحوي أرسطو، ويردُّ حججه، بناء على المقدّمات الأرسطيّة نفسها. ومن نافل القول أنّ جمع هذه الشذرات المُحتَفظ بها، وترجمتها إلى الإنجليزيّة، شكّل حدثاً علميّاً بارزاً عام 1987م، لاسيّما أنّ نشرها تزامن مع نشر رتشارد سورابجي (Richard Sorabji) لكتاب صار اليوم كلاسيكيّاً في الدراسات الفلسفيّة بعنوان (**يحيى النحوي ورفض العلم الأرسطيّ**)[7].

وقد جعل هذان العملان أفكارَ يحيى النحوي في متناول أوسع شريحة من الباحثين، وفَتَحَا آفاقاً أرحب، للبحث في مرحلةٍ لم نكن نعرف عنها سوى أنّها مرحلة الشروح على أرسطو، وأفلاطون لا أكثر؛

Journal of the History of Ideas, Vol. 12, 2, 1951, pp. 163-193, pp. 375-422; Jean De Groot, Aristotle and Philoponus on Light, New York &London: Garland Publishing, Inc., 1991.

انظر، أيضاً، مقالتنا عن "كتاب الردّ على أرسطوطاليس وحضوره في العربيّة وتأثيره"، التي سوف تنشر قريباً.

(5) انظر:

Herbert A. Davidson, 'John Philoponus as a Source of Medieval Islamic and Jewish Proofs of Creation', Journal of the American Oriental Society, 89. 2, 1969, p. 357-58; Proofs for Eternity, Creation and the Existence of God in Medieval Islamic and Jewish Philosophy, Oxford University Press, 1987; J. Kraemer, 'A Lost Passage from Philoponus' Contra Aristotelem in Arabic Translation', Journal of the American Oriental Society, Vol. 85, (1965), pp. 322-323.

انظر، أيضاً، مقالتنا، عن "مؤلّفات يحيى النحوي في العربيّة"، مجلّة كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة في الرباط، العدد 31، 2011م، ص ص 197-231

(6) وهي الجوامع، التي يسعدنا أن نقدّمها إلى القارئ العربيّ اليوم، ونتمنّى أن نُوفّق في استعادة الكتاب كاملاً إلى العربيّة في المستقبل القريب.

(7) انظر:

R. Sorabji (ed.), Philoponus and the Rejection of Aristotelian Science, Cornell University Press: Ithaca, New York 1987.

انعقدت أوّل ندوة علميّة عن هذا الفيلسوف في معهد الدراسات الكلاسيكيّة في لندن عام 1983م، ويتضمّن الكتاب أعمال هذه الندوة، إلى جانب مقالات أخرى. وقد نظّم مؤخّراً يوماً دراسيّاً، عن الفلسفة الطبيعيّة عند يحيى النحوي: التقليد اليونانيّ والتلقّي العربيّ، في باريس يوم 18 أبريل/ نيسان 2013م، من تنسيق فاليري كوردونيي (Valerie Cordonier).

بل لقد منحا نَفَساً قويّاً للدراسات، التي اتّسعت وتعمّقت بعد ذلك في جوانب كثيرة، علميّةً، وفلسفيّةً، وكلاميّةً، وغيرها، من مساهمة هذا الفيلسوف اليونانيّ.

ويشتمل كتاب **(الردّ على أرسطوطاليس)**، في صورته المستعادة، على شذرات يونانيّة احتفظ بها سمبليقيوس، خصم فِلوبونُس، في كتابين: شرحه على **ك. السماء**، وشرحه على **ك. الفيزياء**، وشذرات عربيّة احتفظ بها الفارابي في رسالته (في **الردّ على يحيى النحوي**)[8]، وأبو سليمان السجستاني في كتاب **(صوان الحكمة)**، أو على الأصحّ **(منتخب صوان الحكمة)** لمؤلّف مجهول[9]، علاوة على شذراتٍ احتفظ بها في السريانيّة. ولا شكّ في أنّ ثمّة أجزاء أخرى كثيرة مفقودة، ومن المؤكّد أنّ كتاب **(الردّ على أرسطوطاليس)**، أو جزءاً منه، كان معروفاً لدى الناطقين بالعربيّة على نحو واسع، كما سبقت الإشارة.

يتكوّن الكتاب من ستّ مقالات على الأقلّ، يناقش فيها يحيى النحوي مسائل عالجها أرسطو في مؤلّفاته الطبيعيّة، لاسيما منها: كتاب **السماء**، و**ك. الفيزياء**، و**ك. الآثار العلويّة**.

وقد أفرد المقالة الأولى منها للردّ على أرسطو في موضوع العنصر الخامس، مدافعاً عن فكرة أنّ الأجرام السماويّة مكوّنة من العناصر ذاتها، التي تكوّنت منها الأجسام الأرضيّة، ردّاً على ما ذهب إليه أرسطو من كون السماء مكوّنةً من عنصر لطيف متميّز عن العناصر الأربعة، التي تتكوّن منها الأجسام الأرضيّة، تمهيداً لإثبات أزليّة السماء، ومن ثمّ أزليّة العالم، ويناقش، في المقالة الثانية، خاصيّتي الثّقل والخفّة، مبرزاً أنّهما ليستا حكراً على العناصر الأرضيّة، ويردّ، من ثمّ، دليل أرسطو على أنّ الأجرام السماويّة ليست ثقيلةً ولا خفيفة، وفي المقالة الثالثة، يؤكّد أنّ المنطقتين، السماويّة والأرضيّة، من طبيعة واحدة، مكسّراً بذلك الثنائيّة الكوسمولوجيّة الأرسطيّة، وممهّداً بقوّة لبزوغ الكوسمولوجيا الحديثة. ويعود، في المقالة الرابعة، إلى نظريّة الأثير، وتكوّن الأجرام السماويّة من أجل دحض دليل أرسطو بأنّ السماء ليست حادثة، ولا فاسدة.

وفي المقالة الخامسة، يردّ دليل أرسطو على أزليّة الجسم السماويّ، القائم على فكرة أن لا جسم مضادّاً له، مادام لا حركة مضادّة لحركته الدائريّة. وأخيراً، يعمد، في المقالة السادسة، إلى تفنيد أدلّة

---

[8] انظر: الفارابي، الردّ على يحيى النحوي، حقّقه: محسن مهدي، ضمن:

Muhsin Mahdi, 'The Arabic text of Alfarabi's against John Grammarian', in Medieval and Middle Eastern Studies, in Honor of Aziz Suryal Atiya, edited by Sami A. Hanna, Leiden: Brill, 1972.

حقّقه أيضاً: ع. بدوي تحقيقاً سيّئاً، ضمن:

رسائل فلسفيّة للكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي، بيروت، دار الأندلس، ط 2، 1400ه/1980م.

[9] نشره عبد الرحمن بدوي، طهران، 1974م.

أرسطو على أزليّة الحركة والزمان، مقدّماً، في خضمّ ذلك، أشهر أدلّته على حدوث العالم، من قبيل دليل قوّة جسم العالم المتناهيّة، ودليل التركيب، ودليل استحالة التسلسل، إلى ما لا نهاية له. وقد استعاد هذه الأدلّة المتكلّمون المسلمون، وغير المسلمين، في استدلالهم على حدوث العالم، وردودهم على الفلاسفة في قولهم بقِدَمِه.

ومن الملاحظ أنّ يحيى النحوي، بهذه الردود القويّة على أرسطو، قد قوّض أركان التمييز الأرسطيّ بين عالمين متباينين في طبيعتيهما؛ أوّلاً، برفضه فكرة وجود عنصر خامس متميّز عن العناصر الأربعة الأخرى، وجعلِه، ثانياً، من حركة الأجرام السماويّة حركةً طبيعيّةً لا تتميّز عن الحركة المستقيمة في نوع حركتها، ولا من حيث خصائصها. بالفعل، لقد دافع، ضدّاً لأرسطو، عن أنّ المنطقتين السماويّة والأرضيّة من طبيعة واحدة يسري على الأولى ما يسري على الثانية، من حدوث وفساد. وأكثر من ذلك، فقد أمعن في نقد أرسطو، مهدّماً المبادئ والمفاهيم، التي يستند عليها كلّ تصوّره الفيزيائيّ، والميتافيزيائيّ، مع حرص واضح، في كلّ ذلك، على اعتماد المقدّمات، والمنطلقات، والأقيسة، ذاتها، التي اعتمد عليها أرسطو، لكن من أجل الوصول إلى نتائج نقيضة تماماً لتلك التي انتهى إليها المعلّم الأوّل.

النـصّ[10]:

1. في نقد نظرية الأثير:

يناقش الأدلّة الرئيسة، التي قدّمها أرسطو في **كتاب السماء**، في إثبات نظريته الشهيرة في وجود عنصر خامس (الأثير). يستدلّ أرسطو على وجود عنصر خامس؛ الجسم الأوّل، أو الأثير كما يسمّيه، وهو العنصر، الذي تتكوّن منه الأجرام السماويّة. إنّه عنصر أوّل وأكثر شرفاً من العناصر الأربعة الأخرى؛ العناصر الأرضيّة كما يسمّيها، نظراً لموقعها تحت فلك القمر، حيث عالم الكون والفساد، في حين أنّ كلّ ما يوجد فوقه هو أزليّ.

إنّ الدليل الرئيس، الذي يقدّمه لدعم نظريته، هو أنّ الأجرام السماويّة تملك حركة دائريّة هي حركة طبيعيّة بالنسبة إليها، في حين نرى أنّ العناصر الأربعة، تحت فلك القمر تتحرّك، بطبيعة الحال، نحو الأعلى والأسفل على خطّ مستقيم. وينتقد يحيى النحوي، بدءاً، التصوّر الأرسطيّ للعلاقة القائمة بين الطبيعة والحركة في الأجسام الأوّليّة. يثبت أنّ حركة الكوكب الناريّ هي حركة دائريّة أيضاً، ومن ثمّة يقترح حلاً خاصّاً به، إنّه يتّفق مع أرسطو حول كون الحركات السماويّة تجد علّتها في الطبيعة، بوصفها مبدأ للحركة، لكنّه يرى أنّه ليس ثمّة، في الواقع، ضرورة إلى إضافة جسم أوّليّ خامس. يجب النظر إلى الحركة الدائريّة بوصفها إحدى الحركات الطبيعيّة للنار، والهواء، ولا تحظى البتّة بأيّة أولويّة على الحركة المستقيمة، كما افترض ذلك أرسطو. ومن ثمّ، فإنّه لا داعي لافتراض وجود عنصر سماويّ متميّز[11].

[الشذرات 1-5]

يشرع يحيى النحوي في نقد أطروحة أرسطو، التي مفادها أنّه في حال الأجسام الفيزيائيّة البسيطة؛ أي الأجسام الأوّلية، التراب، والماء، والهواء، والنار، والأثير، تكون الطبيعة مبدأ الحركة الواحدة (في **السماء** 1. 2). ويضيف اعتراضين رئيسين: **أوّلهما**: إذا كانت عن طبائع مختلفة تكون حركات مختلفة، فإنّ الحركات المتماثلة يجب أن تكون عن طبائع متماثلة. غير أنّ الحال ليس هذا؛ فالتراب والماء، على سبيل المثال، يتحرّكان حركة واحدة، على الرغم من أنّ طبيعتهما مختلفة. و**ثانيهما**: إذا كان صحيحاً أنّ الأجسام المختلفة طبائعها -مثلاً التراب والماء-

[10] نشير إلى أنّ عناوين هذه الجوامع وتركيبها بهذا الشكلّ من وضعنا.

[11] Philoponus, Against Aristotle, on the Eternity of the World, op. cit., p. 41.

يمكن أن تتحرّك حركة واحدة، فإنّه، في المقابل، سيكون صحيحاً، أيضاً، أنّ الأجسام، التي تتحرّك حركات مختلفة، تكون لها طبيعة واحدة؛ أي أنّه ليس من المستحيل أن تكون الأجرام السماويّة مثل الأجسام الأرضيّة، من طبيعة واحدة، على الرغم من كونها تتحرّك حركة مختلفة[12].

[الشذرات 6-8]

في **كتاب السماء** (1. 2، 268ب26-269أ2)، يقيم أرسطو ترابطاً بين الأجسام البسيطة؛ أي العناصر، والحركات البسيطة، وبين الأجسام المركّبة، والحركات المركّبة. يعترض يحيى النحوي بالقول: إنّه على الرغم من كون أرسطو يميّز بين الحركة إلى أعلى، والحركة إلى أسفل؛ أي الحركة إلى خارج، أو في اتّجاه مركز الكون، فإنّه فشل في أن يميّز، في حال الأجرام السماويّة، بين الحركة إلى الشرق، والحركة إلى الغرب، وأهمل الاختلافات في السرعة، بين مختلف الأجسام السماويّة.

وعلاوة على ذلك، فإنّ افتراض أرسطو أنّ حركة الأجسام السماويّة حركة دائرية تماماً، يتعارض مع النظريات الفلكيّة القائلة بأفلاك التدوير، والأفلاك الخارجيّة، (eccentrics and epicycles). حاولت النظرية الفلكية اليونانية تفسير ظاهرة الحركات المركّبة للكواكب من خلال نظرية رياضيّة وفيزيائيّة معاً، مفادها أنّ السماء تتألّف من مجموعة من الكريات، التي تحمل الأجسام السماويّة المستديرة في مسارات متميّزة.

إلى هنا، يتّفق أرسطو على ذلك، لكن أضيف، فيما بعد، أنّ الكريات تدور بسرعات مختلفة حول نقاط لا تتطابق مع مركز الكون (eccentrics). من المفروض أنّ النجوم والكواكب كانت مرتبطة بتلك الكريّات، أحياناً، بواسطة كرة دائرية أخرى أصغر بكثير (the epicycle)، إذا كان عدم انتظام حركة الكوكب الظاهريّ يقتضي ذلك.

وأخيراً، يعترض يحيى النحوي على أنّ الحركة الكوسمولوجيّة الدائريّة، والمستقيمة، لا يمكن أن تكون موضوع مقارنة، لأنّه، في الحالة الأولى، نتكلّم على حركة الكلّ، وفي الحالة الثانية على حركة الأجزاء[13].

---

[12] نفسه، ص 41

[13] نفسه، ص 45

[الشذرات 9-17]

في الكون الأرسطيّ، كلّ ما يخرج عن المنطقة الأرضيّة يفترض أنّه مُكوّن من الجرم الناريّ. إنّ الموقف الأرسطيّ من مسألة حركة هذا الجرم الناريّ متناقض. في كتاب **السماء** (1. 2، 269أ7-18)، يستدلّ، صراحةً، على أنّه لا واحد من العناصر الأرضيّة الأربعة يمكن أن يتحرّك على نحو دائريّ، سواء كانت حركة طبيعيّة أم غير طبيعيّة؛ أي بفعل قوّة خارجيّة. لكن، في كتاب **الآثار العلويّة** (1. 3، 340ب32-341أ3؛ 1. 4)، (341ب22-24؛ 344أ11-13)، يفترض أنّ الجرم الناريّ يتحرّك بشكل دائريّ، ومن أجل تجاوز هذه الصعوبة، عمد داماسكيوس، وسمبليقيوس، وأولمبيادورس، على سبيل المثال، إلى الاستدلال، على أنّ حركة الجرم الناريّ ليست طبيعيّة، ولا غير طبيعيّة؛ بل هي فوق طبيعيّة. (انظر: كتاب **الآثار** ليحيى النحوي 97، 20؛ وكتاب **السماء** لسمبليقيوس 21، 1-25؛ 35، 12-20؛ 51، 5-28؛ وكتاب **الآثار** لأولمبيادورس 2، 21-29).

يحاول يحيى النحوي أن يبيّن (ش. 9-17) أنّ حركة الجرم الناريّ يجب أن تكون طبيعيّة، وأنّ النار والهواء يملكان حركتين طبيعيّتين بسيطتين، نحو الأعلى، وعلى نحو دائريّ، تماماً، كما التراب، والماء، يوجدان، بالطبع، في حالة سكون، أو في حركة إلى أسفل. في هذا الدليل، يفنّد يحيى النحوي، في آنٍ واحد، وبشكل غير مباشر، نظرية الحركة فوق الطبيعيّة، ويقترح أنّ الأجرام السماويّة هي من طبيعة واحدة، مثلها مثل العناصر الأرضيّة. إنّ الحركة الدائريّة هي، أيضاً، حركة طبيعيّة لعناصر أرضيّة في رأي يحيى النحوي[14].

[الشذرات 18-32]

في كتاب **السماء** (1. 2، 269أ18-28)، يستدلّ أرسطو على أنّ الدائرة أَوْلى من الخطّ المستقيم، ومن ثمّ فإنّ الحركة الدائريّة أَوْلى من الحركة المستقيمة، وأنّ الجسم السماويّ، في آخر المطاف، أَوْلى من أجسام ما تحت فلك القمر، يعترض يحيى النحوي أوّلاً على أنّ الاستدلال على أولويّة الجسم، اعتماداً على أولويّة الحركة، أمرٌ غير مبرّر، لأنّ أجسام ما تحت فلك القمر تتحرّك على نحو دائري أيضاً (ش. 18).

يشرع، بعد ذلك، في الردّ على دليل أرسطو بتفصيلٍ يسلّم، أوّلاً، بأنّ الدائرة أَوْلى من الخطّ المستقيم (ش. 19-24)، ومن ثمّ يرفض هذا الافتراض الأساسي (ش. 25-32).

[14] نفسه، ص ص 46-47

[الشذرات 19-24]

يقبل يحيى النحوي، من أجل الدليل، تعريف الإسكندر وسمبليقيوس لما هو تامّ، بوصفه ما له بداية، ووسط، ونهاية، (عن أصل هذا التعريف الغامض، انظر: ش. 32). يستدلّ على أنّه إذا كانت الدائرة تامّة بهذا المعنى، فإنّ الحركة الدائريّة ستكون غير تامّة، لأنّه لا حدود لها، لكن الحركة المستقيمة ستكون تامّة؛ لأنّ كلّ الحركات المستقيمة لها بدايةٌ، ووسطٌ، ونهايةٌ؛ لذا، إمّا أن تكون الحركة السماويّة أزلية، وغير تامّة، وإمّا تامّة، وغير ومحدودة؛ أي غير أزليّة (ش. 22). يحاول، أيضاً، أن يردّ دليل أرسطو، بناءً على أسباب شكليّة.

[الشذرات 25-32]

إنّ افتراض أرسطو أنّ الدائرة تامّة، ومن ثمّ أَوْلى من الخطّ المستقيم، الذي هو غير تامّ، افتراض غير مقنع، إذا قبلنا التعريف المقدّم عن التامّ. يزعم يحيى النحوي أنّ العكس هو الصحيح: الدائرة غير تامّة؛ لأنّه لا دائرة ببعدين تملك بداية، ووسطاً، ونهاية. لكن؛ كلّ خطّ مستقيم هو خطّ تامّ، لأنّ الخطّ المستقيم الأطول، الذي هو قطر الكون، هو خطّ محدود. وأكثر من ذلك، ليس صحيحاً أنّ دائرة (طبيعيّة) لا يمكن الزيادة فيها، كما استدلّ أرسطو على ذلك. ويتخلّى، في الأخير، عن التعريف المقدّم للتمام بوصفه غير ذي جدوى (ش. 29-32). لقد كان على أرسطو، أن يقدّم تعريفاً صحيحاً وشاملاً للتمام[15].

[الشذرات 33-36]

يشير يحيى النحوي إلى التناقض المعروف جدّاً في: **ك. السماء** (1. 2)، الذي مفاده أنّ أرسطو يستدلّ، أوّلاً، بشكل صريح (269أ9-18)، على أنّ الحركة الدائريّة ليست طبيعيّة ولا مضادّة للطبيعة، بالنسبة إلى العناصر الأربعة في عالم ما تحت فلك القمر، لكنّه، فيما بعد، في فصل (269أ32-ب6). يقول: إنّ الحركة الدائريّة هي بالفعل مضادّة للطبيعة بالنسبة إلى هذه العناصر، ومن ثمّ هي طبيعيّة لعنصر آخر. وفي آخر المقالة الأولى، يبيّن يحيى النحوي، على ما يبدو، أنّ فلاسفة آخرين قبله استدلّوا أيضاً ضدّ العنصر الخامس، الذي قال به أرسطو (ش. 36)[16].

---

[15] نفسه، ص ص 50-51

[16] نفسه، ص 55

2. في طبيعة الأجرام السماويّة:

تتمحور المقالة الثانية، بشكل أساسي، حول دليل أرسطو على أنّ الأجرام السماويّة ليست ثقيلة، ولا خفيفة (كتاب **السماء** 1. 3، 269ب18-270أ12)؛ أي أنّ الأجرام السماويّة تنقصها تلك الخصائص، التي تملكها العناصر الأرضيّة خاصةً. يحاول يحيى النحوي أن يبيّن، أنّه ليس صحيحاً القول إنّ عناصر كهذه تملك الثقل، والخفّة، ولا أنّ العناصر الأرضية جميعها ليست ثقيلة ولا خفيفة، ولا أنّ الجسم السماوي ليس بإمكانه أن يتحرّك إلى أعلى أو أسفل، إذا كان، على سبيل المثال، جسماً خفيفاً. ليخلص، في الأخير، إلى أنّ الحركة الدائريّة للموجودات السماويّة هي طبيعيّة ونفسيّة في آن واحد[17].

[الشذرات 37-44]

يردّ يحيى النحوي، أوّلاً، نتيجة الدليل الأرسطيّ، التي مفادها أنّ السماء ليست ثقيلة، ولا خفيفة. إنّ الجسم السماويّ، في آخر المطاف، يوجد في مكان أعلى، ولذلك سيكون خفيفاً (ش. 37-39). غير أنّ فِلوبونُس لا يدافع عن فكرة أنّ الجسم السماوي خفيف. يتّفق مع أرسطو على أنّ الأجرام السماويّة ليست ثقيلة ولا خفيفة، ويختلف معه في الدليل فحسب. ومفاد دليله أنّ الجانب الكلّي في كلّ عنصر، حتّى الأرض كلّها، أو العالم كلّه، لا يملك ثقلاً ولا خفّة. هذه الخاصيّات تتّسم بها فقط أجزاء أجسام أوليّة، وقد صارت منفصلة عن الكلّ، وخارج موضعها الطبيعيّ (ش. 40-44). ويحيى النحوي، في هذه الأدلّة، لا يرتبط بأفلاطون وثامسطيوس، فحسب، وإنّما يضيف، أيضاً، بعض خبرات الفكر الأصيلة[18].

[الشذرات 45-46]

كان على يحيى النحوي مواجهة اعتراض بديهيّ: لماذا لا يصير أيّ جزء من الجسم السماويّ منفصلاً عنه، كما تنفصل أجزاء من الكلّيات الجامعة للعناصر الأرضيّة؟ جواب يحيى النحوي على هذه المشكلة هو أنّ الأجرام السماويّة تعدّ أكبر وأهمّ جزء جسمانيّ من الكون، ولها مقابل في قلب الكائنات الحيّة، وأقلّ قابليّة على الفساد من أجزاء العالم الأخرى. في (شذرة 46)، يستدلّ فِلوبونُس على أنّ الثقل والخفّة ليست خاصيّات تملكها عناصر كهذه، غير أنّ الأمر رهين بالموضع النسبيّ، الذي يحتلّه الجسم الأوّلي المقصود. فالأجسام لا تكون ثقيلة ولا خفيفة في مواضعها الخاصّة[19].

---

[17] نفسه، ص 58

[18] نفسه، ص 58

[19] نفسه، ص 62

[الشذرات 47-48]

من أجل تفنيد موقف أرسطو كليّاً، يوافق يحيى النحوي على أنّ العناصر تتّسم بالثقل والخفّة في مواضعها الخاصّة. فأرسطو يستدلّ على أنّ الأجرام السماويّة لا تتحرّك على خطّ مستقيم طبيعياً، أو قسراً؛ لأنّها مكوّنة من الأثير، ومن ثمّ فإنّها ليست ثقيلة ولا خفيفة. يبيّن يحيى النحوي أنّ الأجرام السماويّة لا يمكن أن تتحرّك على خطٍّ مستقيم حتّى إذا افترضنا أنّها مكوّنة من أجسام ثقيلة أو خفيفة؛ لأنّه، أوّلاً، ليس ثمّة مكان فوقها أو تحتها يمكن أن تتحرّك إليه بوصفها كُلّاً، وثانياً، لا يمكن لأيّ جزء من الجسم السماويّ أن يصير منفصلاً دون تدمير الجرم كلّه؛ لأنّ الأجرام السماويّة جسم صلب، كما يستدلُّ على ذلك يحيى النحوي[20].

[الشذرات 49-51]

وأخيراً، يستدلُّ يحيى النحوي، في توافق مع أفلاطون، على أنّ حركات الأجسام السماويّة حركات طبيعيّة ونفسيّة في آن واحد. ويبيّن، أيضاً، أنّ موقف أرسطو في هذه المسألة يُمكن عدّه موقفاً متناقضاً تماماً[21].

3. المنطقتان السماويّة والأرضيّة من طبيعة واحدة:

في المقالة الثالثة من (**الردّ على أرسطوطاليس**)، غيّر يحيى النحوي وجهته من كتاب **السماء**، لكي يناقش دليلاً من كتاب **الآثار العلويّة** لأرسطو. يستدلُّ أرسطو، هنا، على أنّ الأجرام السماويّة ليست مكوّنة من عنصر النار؛ لأنّه لو كانت كذلك لكان قد دَمّر، منذ مُدّة، بعضُها بعضَها الآخر. يبيّن يحيى النحوي أنّ هذا الدليل خاطئ، مستشهداً بالموقف الأرسطيّ، الذي يرى أنّ الجسم السماويّ مكوّن، في جزء كبير منه، من عنصر النار. بعد ذلك، عمد يحيى النحوي إلى الجمع بين المنطقتين السماويّة والأرضيّة، عبر مقارنة نوعيّة الطبيعة الخاصّة بكلّ منها. ويرى أنّ المنطقتين، معاً، من طبيعة واحدة في أساسها[22].

---

[20] نفسه، ص 63

[21] نفسه، ص 65

[22] نفسه، ص 69

[الشذرات 52-55]

يورد يحيى النحوي، أوّلاً، أنّ الجرم الناري يتضمّن الصعوبة نفسها؛ أي أنّ الحضور القويّ للنار، في تلك المنطقة، قد يكون دمّر العناصر الأخرى إلى حدود الآن. غير أنّ دليل أرسطو، في الواقع، ليس متيناً؛ لأنّ النار السماويّة، تماماً، مثل النار الموجودة في الجرم الناريّ، غير قادرة على الإحراق. ولو كانت قادرة على ذلك لما اختلف الأمر، لأنّه، أوّلاً، ليس صحيحاً أنّ القوّة الفعليّة لكيفيّةٍ ما تتغيّر تناسبيّاً مع كيفيّة الجسم الذي تحته. ثانياً، إنّ بُعد الأشياء في السماء يُخفّض بشكل كبير الحرارة، التي ترسلها إلى الأشياء هنا، وثالثاً، إنّ النار السماويّة لن تؤثّر في العناصر ما تحت فلك القمر، لأنّها لا تؤثّر، أيضاً، في الجرم الناريّ (الشبيه لا يؤثّر في الشبيه). وأخيراً، يهاجم فرضية الإسكندر، التي مفادها أنّ العناصر يجب أن تكون لها قوى متكافئة[23].

[الشذرات 56-61]

تناقش هذه الشذرات جوهر وكيفيّات الأجرام السماويّة. يرتبط يحيى النحوي بأفلاطون في استدلاله على أنّ الأجرام السماويّة تتكوّن، في جلّ أجزائها، لا من النار فحسب؛ بل، أيضاً، من أكثر الأجزاء صفاءً، في كلّ العناصر الأربعة. ولأنّه يعارض موقف أرسطو، الذي مفاده أنّ الجسم السماوي ليس له أيّ كيف، يرى يحيى النحوي أنّ كلّ الكيفيات، فرضاً، يمكن أن توجد في المناطق السماويّة، والأرضيّة معاً، وفي الجملة، فإنّ كلا المنطقتين، في جوهرهما، متشابهتان كلّيةً بالطبع[24].

4. عودة إلى نقد نظرية الأثير:

يعود يحيى النحوي، في هذه المقالة، إلى دليل نظرية الأثير في كتاب **السماء**، حيث يناقش دليل أرسطو البرهانيّ، على أنّ الأجرام السماويّة ليست حادثة، ولا فاسدة، علاوة على الدليل الإضافيّ الجدليّ، الذي أورده من أجل دعم معتقده. وفي سياق تفنيده لأرسطو يوضّح فِلوبونُس، ماذا يقصد بالخلق من عدم[25].

---

[23] نفسه، ص 69

[24] نفسه، ص 73

[25] نفسه، ص 77

[الشذرات 62-63]

يعمد يحيى النحوي إلى تفنيد دليل أرسطو، الذي مفاده، أنّ الأجرام السماويّة ليست حادثة، ولا فاسدة، (**ك. السماء**، 1. 3، 22-12 207a). وهو يسبق ردّه الرئيس، باتّهامٍ ليس جدّياً تماماً، مفاده أنّ دليل أرسطو ليس منسجماً، لأنّه لا يوضّح المعنى، الذي يستعمل فيه كلمة «غير محدث»(agenetos)[26].

[الشذرات 64-72]

استدلّ أرسطو في كتاب **السماء** (1. 3، 22-12 270a)، على أنّ الأجرام السماويّة يجب أن تكون أزليّة؛ أي غير حادثة ولا فاسدة؛ لأنّ(1) كلّ الأشياء تتكوّن من الضدّ (enantion)، وتفسد إلى الضدّ، لكن(2) الجسم السماويّ لا ضدّ له، لأنّه لا يوجد ضدٌّ للحركة الدائريّة. ترتبط المقدّمة(1) بنظرية الكون، التي طوّرها أرسطو في كتاب **الفيزياء** (1. 7-9)، نجد هناك تفسيراً لسيرورة التكوّن، بمعنى التغيّر في الجوهر، أو الموضوع(hupokeimeno) أو المادّة (hulé)، من حالة الإعدام (stéreis)، إلى الحالة التي يملك فيها الجوهر صورة محدّدة، إلى حدّ ما (morphé ; eidos). يطلق أرسطو على الصورة أو الإعدام متضادّين (أوantikeimena)، أو حتّى نقيضين (enantia)، دون تقديم تمييز واضح بين حالات، من قبيل التي يصير فيها شيء بارد حارّاً، وحالات، مثل بعض قطعة من الرخام بلا صورة تتحوّل إلى تمثال. المقدّمة الثانية يبرّرها أرسطو في كتاب **السماء** (1. 4)، ويفحصها فِلوبونُس في الكتاب الرابع.

إنّ الشذرات 64-72 تفنيد مفصّل للمقدّمة الأولى. يتقدّم هذا الدليل كإشكال. يبدأ يحيى النحوي بالتمييز بين معنيين لـ الأضداد؛ أضداد خالصة، مثلاً: حارّ/بارد، رطب/يابس، أسود/أبيض، وهكذا، وأضداد بمعنى الصورة، والإعدام (steresis)، مثلاً: موسيقيّ وغير موسيقيّ، إنسان/ غير إنسان. في (الشذرة 65)، يُفترَض أنّ أرسطو لابدّ من أن يستعمل الأضداد بالمعنى الأوّل، لأنّ الأجرام السماويّة، بالتأكيد، تملك ضدّاً ما عادماً، مثلما عدم الحركة. لكنّه يبيّن، بعد ذلك في (الشذرة 67)، أنّه ليس صحيحاً أنّ كلّ الأشياء تكوّنت من ضدّ خالص: جواهر فردية (atomoi ousia)؛ تكوّنت دون وجود ضدّ للجوهر؛ والأمر نفسه صحيح بالنسبة إلى الأشياء التي تدخل تحت طائلة المقولات الأخرى.

---

[26] نفسه، ص 77

وهكذا، يخلص فِلوبونُس، في (الشذرة 69)، إلى أنّ أرسطو لابدّ من أن يعترض على الاقتراح الأوّل عن أضداد بمعنى الإعدام، والصورة، ويحيل على ثامسطيوس لتدعيم هذه الفكرة. لكن، إذا قبلنا بهذا الحلّ، فستبدو الأجرام السماويّة حادثة وفانية؛ لأنّها تملك، في آنٍ واحد، الصورة والإعدام، كما هو الشأن بالنسبة إلى المادّة المشتركة (الهيولى) (الشذرات 69-72). لذلك، إذا قبلنا معنى واحداً للتضادّ فإنّ مقدّمة أرسطو الأولى ستكون خاطئة؛ وإذا قبلنا المعنى الآخر، فعلينا أن نتصوّر الأجرام السماويّة بدورها حادثة وفانية[27].

[الشذرات 73-76]

بعد ذلك، يستدلّ يحيى النحوي على أنّه ليس صحيحاً أنّ كلّ الأشياء المكوّنة تقتضي مادّة سابقة. أوّلاً، «لاشيء» لا يجب أن يُنظر إليه بوصفه شيئاً مادّياً. يعني الخلق من عدم أنّ الشرط الضروريّ للتكوّن من شيء ما هو أنّه مُكوّن أيضاً. إنّ الصورة قد خلقت مع المادّة أيضاً. في (ش. 76)، يصف أرسطو بالسفسطة، ويصفه، خاصةً، بالانتقال غير المشروع إلى موضوع آخر في دليله[28].

[الشذرات 77-80]

دعّم أرسطو نظريته في الأثير، وفي أزليّة الأجرام السماويّة، بأفكار مشتركة ثلاث (phainomena)، (انظر: كتاب **السماء** 1.3، 27b1-25). يردّ يحيى النحوي اثنين منها على الأقلّ. إنّ كون جميع الناس ينسبون أعلى الأماكن إلى الله ليس حجّةً على أزليّة وألوهيّة المنطقة السماويّة. وكذلك اللاّتغيّر الظاهر على الأجرام السماويّة ليس حجّةً على أزليّتها أيضاً. ثمّة أمثلة كثيرة على أشياء لا متغيّرة إلى حدّ كبير في العالم الأرضيّ أيضاً، فالسماء، أكبر وأهمّ جزء من الكون، تظلّ غير متغيّرة مادام الكون نفسه موجوداً. ولكن، بما أنّ الأجرام السماويّة تشكّل جسماً محدوداً، فإنّها بالطبع فانية[29].

5. في تفنيد أزليّة الجرم السماويّ وأنّ حركته لا ضدّ لها:

يمكن تقسيم شذرات المقالة الخامسة إلى جزأين: في القسم الأوّل، يهاجم فرضية أرسطو، التي مفادها أنّ الحركات المكانيّة لأجسام متضادّة هي حركات متضادّة أيضاً. وفي القسم الثاني،

---

[27] نفسه، ص 79

[28] نفسه، ص 87

[29] نفسه، ص ص 88-89

الذي يشكّل الجزء الأكبر من الكتاب، ينتقد يحيى النحوي، بتفصيل، الدليل الوارد في كتاب **السماء** (1، 4)، حيث يحاول أرسطو تبرير فرضيته السابقة، التي مفادها أنه لا حركة مضادّة للحركة الدائريّة. يتضمّن الدليل الأرسطيّ القول بأزليّة الجسم السماويّ؛ لأنّه إذا كان لا يوجد ضدٌّ للحركة الدائريّة للأجرام السماويّة، فإنّه ينتج عن ذلك -يستنتج أرسطو- أنه لا يوجد أيّ جسم مضادّ للجسم السماويّ. فالنار -على سبيل المثال- ضدّ الماء، فإذا لم يوجد مثل هذا الجسم، فالأجرام السماويّة لن تكون موضوع كون وفساد[30].

[الشذرات 81-86]

إنّ افتراض أرسطو أنّه لا شيء يُضادّ الجسم السماويّ، (في: ك. **السماء** 1. 3، 270أ 18-20)، يقوم على فرضيتين:

(1) الحركات المكانيّة للأجسام المتضادّة حركات متضادّة أيضاً.

(2) لا توجد حركة مضادّة للحركة الدائرية، (270أ19ف.) و(**ك. السماء** 1. 4).

في (ش. 81-85)، يردّ يحيى النحوي الفرضيّة الأولى. ماذا يعني أرسطو بالأجسام المتضادّة؟ أيقصد الجوهر أم كيفيات الأجسام؟ إذا كان يعني «الجوهر»، فسيكون أرسطو متناقضاً مع نفسه؛ لأنّ الجوهر لا ضدّ له. وأكثر من ذلك، إنّ القضية(1) لا تنعكس، كما افترض ذلك أرسطو؛ أي أنّ التضادّ في الحركة لا يقتضي التضادّ في الأجسام المتحرّكة (ش.82-83). ومن جهة أخرى، إذا كان أرسطو يعتقد أنّ كيفيات الأجسام، التي تتحرّك حركات متضادّة، كيفيّات متضادّة، فإنّه سيواجه صعوبات منطقيّة وتجريبيّة (ش. 84-85). يعترض سمبليقيوس بالقول إنّ يحيى النحوي، في مناقشته للتضادّ الجسمانيّ، يفصل نظريّاً بين الجوهر والكيفيّات (ش.86)[31].

[الشذرات 87-89]

يعمد يحيى النحوي إلى تفنيد فرضية أرسطو الثانية؛ أي لا حركة تُضادّ الحركة الدائريّة، كما في الدليل الأوّل (ك. **السماء** 1. 4، 270ب32-271أ5). لدعم هذه الأطروحة، ذهب أرسطو والإسكندر الأفروديسي إلى أنّ الحركة المستقيمة ليست مضادّة للحركة الدائريّة؛ لأنّ كلا الحركتين المستقيمتين إلى

---

[30] نفسه، ص 92

[31] نفسه، ص 92

أعلى وإلى أسفل تُضادّ إحداهما الأخرى سلفاً (ش. 87). يستدل يحيى النحوي (ش. 88-89) على أنّ حركة مسقيمة واحدة تُضادّ، في آنٍ واحد، الحركة المستقيمة المقابلة والحركة الدائرية، بالنظر فحسب من جهة مختلفة[32].

[الشذرات 90-91]

يستعيد الافتراض الخاصّ بأرسطو (ك. **السماء** 1. 4، 270ب35) بأنّ المقعّر (koilos)، والمحدّب (kurtos)، متضادّان، ويجعل منهما، بعد ذلك، خاصّيتين للجسم السماويّ. إذا كان الاشتراك في أيّ نوع من التضادّ ينتج عنه أن يكون الشيء متكوّناً وفانياً، فستكون الأجرام السماويّة، أيضاً، مكوّنة وفانية[33].

[الشذرات92-93]

الردّ على دليل أرسطو الثاني، (**ك. السماء** 1. 4، 271أ5-10): الحركات المنحنية من نقطة أ إلى نقطة ب ليست مضادّة للحركات المنحنية من ب إلى أ، لمكان وجود عدد لامتناهٍ من المنحنيات (الرابطة بين النقطتين).

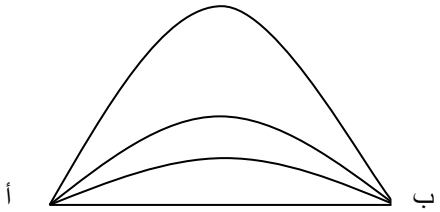

يعرض سمبليقيوس الخطوط العريضة للمنطق الكامن خلف أدلّة أرسطو على غياب الأمكنة المتضادّة في الدائرة، واستحالة قيام حركات متضادّة على طولٍ منحنٍ. يعترض يحيى النحوي بالقول إنّه مادامت الحركات في كلّ اتّجاه هي حركات متشابهة، فستكون كلّ الحركات المنحنية من أ إلى ب مضادّة للحركات من ب إلى أ. ومثل ذلك صحيح بالنسبة إلى الحركات المستقيمة؛ لأنّ المركز الوحيد يوجد في حالة تضادّ مع عدد لا متناهٍ من النهايات في محيط العالم (ش. 92).

يعترض يحيى النحوي على تأويل الإسكندر لدليل أرسطو القائل بأنّه يستحيل إثبات أشياء جسمانية اعتماداً على مبادئ هندسيّة. بدل ذلك، يفترض فِلوبونُس إمكان وجود دائرة كبرى هي إطار الكون، لكي

---

[32] نفسه، ص 99

[33] نفسه، ص 102

يبيّن أنّه توجد أمكنة متضادّة في دائرة الكون، وأنّ الحركات بينها يمكن أن تكون حركات متضادّة (ش. 93)[34].

[الشذرات 94-100]

الردّ على دليل أرسطو الثالث، (**ك. السماء** 1. 4، 271أ10-13): إنّ الحركة من ج إلى د، على طول نصف دائرة معيّنة، ليست مضادّة للحركة من د إلى ج؛ لأنّ نصف الدائرة لا تحدّد المسافة القائمة بين ج ود.

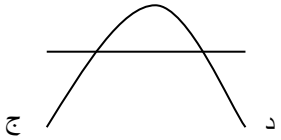

يعترض يحيى النحوي بالقول إنّه ليس صحيحاً أنّ جميع المسافات تُقاس وتُحدّد بوساطة الخطّ المستقيم. إنّ القياسات يجب أن تطبّق على موضوع يمكن قياسه، غير أنّ الخطّ المستقيم لا ينطبق على المنحنى (ش. 94). لكن، حتّى إذا كان صحيحاً أنّ كلّ المسافات تُقاس على طول الخطّ المستقيم، فسيظلّ صحيحاً -في نظر يحيى النحوي- أنّ الحركات، على طول نصف دائرة في اتّجاهات متضادّة، هي حركات متضادّة. يمكن تحديد أكبر مسافة بين الأمكنة معاً، من خلال المسافة على خطّ مستقيم، ومن خلال المسافة على طول الدائرة (ش. 95).

فيما يأتي، على مدار هذه السطور، مناقشة تأويل الإسكندر لدليل أرسطو الثالث (ش. 96-100)[35].

[الشذرة 101]

عن دليل أرسطو الرابع، (**ك. السماء** 1. 4، 271أ13-19): يفترض نصف دائرتين (ه و(و) اللتين، إذا جُمِعتا معاً، تشكّلان دائرة كاملة يشطرها قطر (ز) و(ح). إنّ الحركة من (ز)

[34] نفسه، ص ص 103-104

[35] نفسه، ص ص 106-107

إلى (ح)، على مدار نصف الدائرة (ه)، بداهةً، ليست مضادّة للحركة من (ح) إلى (ز) على مدار نصف الدائرة (و). يوافق يوحنّا النحوي على أنّ الحركات ليست حركات متضادّة[36].

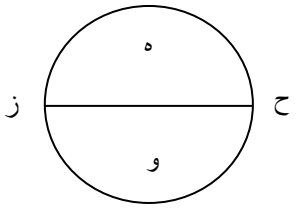

[الشذرات 102-104]

الردّ على دليل أرسطو الخامس (**ك. السماء** 1. 4، 271أ 19-22): ليست الحركتان على دائرة واحدة، في اتّجاهين مختلفين، حركتين متضادّتين؛ لأنّهما تعودان، دائماً، إلى النقطة نفسها؛ إذ الحركات المتضادّة يجب أن تحدث من ضدّ إلى ضدّ آخر.

لا يقبل يحيى النحوي فكرة كون الحركات، التي تكون على دائرة واحدة في اتّجاهات مختلفة، ليست حركات متضادّة. يعترض بالقول: إنّ تعريف الحركات المضادّة؛ أي الحركات التي تكون بين أمكنة متضادّة، لا ينسحب على حالة الحركة الدائريّة المتضادّة. يتدخّل، هنا، نوع آخر من التضادّ؛ لأنّ الحركات الدائريّة مختلفة في النوع عن الحركات المستقيمة (ش. 102). وهكذا، ذهب يحيى النحوي إلى أنّ حركات الكواكب هي، بالفعل، متضادّة مع حركة الجرم الثابت (ش. 103). ويحاول سمبليقيوس أن يبيّن أنّ نقد فِلوبونُس غير منطقيّ ومتناقض. في (ش. 104) يفسّر يحيى النحوي التضادّ في الحركة الدائرية، اعتماداً على حركة الكواكب، وحركة الجرم الثابت[37].

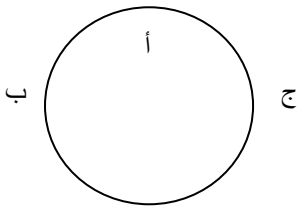

[36] نفسه، ص 113

[37] نفسه، ص ص 114-115

[الشذرات 105-107]

الردّ على دليل أرسطو السادس (**ك. السماء** 1. 4، 271أ 22-33)، الذي هو ملحق للدليل الخامس: إذا كانت الحركات على دائرة قد تُضادّ الواحدة منها الأخرى، فإنّ واحدة منها، على الأقلّ، سوف تنتفي، وستكون، من ثَمَّ، باطلة (maten). غير أنّ الله والطبيعة لا يفعلان شيئاً باطلاً. يتساءل يحيى النحوي: لماذا يناقش أرسطو الحركات في اتّجاهات مختلفة على مدار دائرة واحدة فقط، وليس على مدار دوائر مختلفة، كما هو الحال بالنسبة إلى حركات الأجسام السماويّة (انظر مقدّمة ش. 6-8).

ومن أجل دعم هذه الفكرة، يستحضر الإسكندر (ش. 105)، ومن ثمّ، يدافع عن أنّ نظرية الأثير نظرية فيزيائيّة، وأنّ أرسطو، على ما يبدو، قد جانَبَ السؤال الأهمّ في دليله (ش. 106).

ومن جهة أخرى، إذا سلّمنا بأنّ الحركات في اتّجاهات مختلفة على دائرة لا تحدث في الطبيعة؛ لأنّها سوف تنفي إحداها الأخرى، وستكون باطلة، فإنّ الصعوبة نفسها بالضبط سوف تلزم عن تصوّر أرسطو للحركات المستقيمة (ش. 107)[38].

6. في تفنيد قِدم الحركة والزمان:

ينتقد يحيى النحوي، في المقالة السادسة، الأدلّة التي قدّمها أرسطو على أزليّة الحركة والزمان (**الفيزياء**، 8. 1). يشرع، أوّلاً، في نقد تعريف أرسطو للحركة، وما يستتبعه ذلك من نتائج، محاولاً إثبات إمكانية الخلق من عدم. ومن ثَمّ، يبيّن أنّه لا الزمان ولا الحركة أزليّان؛ لابدّ أنّه كانت لهما بداية، وستكون لهما نهاية[39].

[الشذرات 108-113]

في كتاب **الفيزياء** (8. 1، 251 أ9 ف) يعرّف أرسطو الحركة بوصفها فعلاً (energeia) ما من شأنه أن يتحرّك بما شأنه أن يتحرّك، ويستنتج من هذا التعريف أنّ ما شأنه أن يتحرّك يسبق في الوجود الحركة في الزمان، (251 أ10-23).

يعترض يحيى النحوي بالقول: إنّ هذا التعريف لا ينطبق على كلّ أنواع الحركة؛ لأنّه، في حال الحركة الأزليّة، لا يسبق ما شأنه أن يتحرّك في الوجود، الحركة في الزمان. يواجه الأفلاطونيّين المحدثين

[38] نفسه، ص 119

[39] نفسه، ص 122

بثلاثة خيارات غير مقبولة: (1) إمّا أنّ التعريف لا ينطبق على كلّ أنواع الحركة، (2) أو إذا كان كذلك، فإنّ الحركة الأزليّة لن تكون أزليّة؛ لأنّه يجب علينا أن نخلص إلى أنّ ما شأنه أن يتحرّك يسبق في الوجود تلك الحركة أيضاً، (3) أو، إذا وجدت الحركة الأزليّة، فإنّ الوجود السابق لما من شأنه أن يتحرّك لا يدخل تحت طائلة تعريف الحركة، كما افترض ذلك أرسطو (ش. 108).

يحاول يحيى النحوي، بعد ذلك، البرهنة على أنّ الخيار الثالث صحيح، مفنّداً، بذلك، دليل أرسطو على أزليّة الحركة. فهو، أوّلاً، يؤوّل مفهوم أرسطو لـ «القوّة/ الإمكان» (dunamis) بوصفه شيئاً يشبه «قوّة داخليّة». والغرض أنّ الحركة تحدث، فحسب، في حضور قوّة ما (ديناميس)، وتلك القوّة تؤدّي مباشرة إلى الحركة (ش. 108)، إلا في حالة تدخّل قوّة ما خارجيّة معيقة، (انظر: ش. 111).

ويبيّن، بعد ذلك، أنّ هذا المفهوم للقوّة (ديناميس) ينطبق على حالات من حدوث وحركة متزامنين لأجسام بسيطة. ومن ثمّ، ليس صحيحاً عموماً القول إنّ ما شأنه أن يتحرّك يسبق الحركة في الزمان (ش. 109). ولو كان هذا صحيحاً، لكانت كلّ حركة، بالطبع، لكلّ جسم، وهو محال (ش. 110). لذلك، إنّ تعريف أرسطو للحركة لا يسمح باستنتاج أنّ الحركة يجب أن تكون أزليّة (ش. 112-113)[40].

[الشذرات 114-116]

إنّ السبيل الوحيد لإبراز أنّ الحركة أزليّة -حسب يحيى النحوي- إبراز أنّ مبدأ «لا شيء من لا شيء» هو مبدأ صحيح (ش. 114). ومن ثمّة، يحاول يحيى النحوي الكشف عن خطأ هذا المبدأ. يتصوّر، أوّلاً، أنّه قد يكون صحيحاً في حال الطبيعة، لكنّه ليس صحيحاً، بأيّ حال، بالنسبة إلى الإله. فالله، في مقابل الطبيعة، قادر على أن يخلق من لا شيء، وذلك بأن يخلق الصورة والمادّة في آنٍ واحد، وفي لازمان (ش. 115). ويبرز، بعد ذلك، أنّ المبدأ ليس صحيحاً، أيضاً، في حال الطبيعة والصناعة (ش. 116)[41].

[الشذرات 117-120]

يمكن تحليل كلّ حركة إلى نسبتين؛ المحرّك والمتحرّك. يستدلّ أرسطو، في **ك. الفيزياء** (8، 1، 251 ب 5-10)، على أنّه إذا صحّ أنّ الاثنين لا يكونان، دائماً، في حال حركة، فإنّه يجب أن يكون ثمّة

[40] نفسه، ص ص 122-123

[41] نفسه، ص 128

حركة سابقة هي التي دفعت هذا الطرف، أو ذاك، أو هما معاً، للدخول في تلك العلاقة بين المحرّك والمتحرّك، جاعلة الحركة أمراً ممكناً. غير أنّ الشيء نفسه يصحّ، مرّة أخرى، بالنسبة إلى الحركة السابقة؛ لذلك، يمتنع التوقّف عند حركة أولى.

يعترض يحيى النحوي على وجود أشياء لها علاقة بأشياء أخرى، بمجرّد أن تأتي إلى الوجود. إنّ الأشياء المتعالقة لا تسبق، بالضرورة، العلاقة (ش. 117-118). ثمّ يثير اعتراضاً على دليله الخاصّ: يظلّ كلّ شيء يأتي إلى الوجود بسبب الحركة، ومن الممتنع افتراض حركة أولى. يجيب يحيى النحوي بأنّ الله يخلق من لا شيء، ومن ثمّ، فهو ينشئ الحركة أيضاً (ش. 119-120)[42].

[الشذرات 121-122]

في **ك. الفيزياء** (8، 1، 251 ب 10-28)، يستدلّ أرسطو على أنّ الزمان يجب أن يكون أزليّاً. ثمّة ثلاثة أدلّة يحاول يحيى النحوي نقضها تباعاً:

الدليل الأوّل: يجب أن يكون، دائماً، زمان؛ لأنّه يوجد دائماً «قبل» و«بعد» لكلّ حادث، (251 ب 10). يعقّب يحيى النحوي بدليلين نظريّين، مبرزاً أنّ ألفاظ «قبل» و«بعد» لا تشير، ضرورةً، إلى حضور الزمان. أوّلاً، إنّ عقول الملائكة والأرواح تفكّر بشكل استطراديّ، أي ثمّة «قبل» و«بعد» في تفكيرها، لكنّها، مع ذلك، غير مرتبطة بالزمان، على اعتبار أنّ الزمان هو عدد حركات الأجسام. ثانياً، إنّ الله يوجد فوق وقبل الزمان؛ ومع ذلك، فإنّه يعلم ما «قبل» وما «بعد» الأحداث في الزمان (ش. 121). إنّ التفكير الزمانيّ راجع إلى قصور العقل البشريّ؛ فإذا كان الله يتأمّل الأشياء الزمانيّة على نحو لازمانيّ، فإنّ العقل البشريّ لا يستطيع التفكير في الأشياء اللازمانيّة دون الإحالة على الزمان (ش. 122)[43].

[الشذرات 123-124]

في دليل ثانٍ، يدعّم أرسطو دعواه، التي مفادها أنّ الزمان أزليّ، عبر الإحالة على واقعة أنّ جميع الفيزيائيّين، تقريباً، على رأي واحد، (**ك. الفيزياء**، 8، 1، 251 ب 14-19). يردّ يحيى النحوي بالقول إنّ الحقيقة لا يُتوصّل إليها عبر وسيلة الديمقراطيّة؛ ولو كان الأمر كذلك، لوجب أن تكون أفكار أرسطو عن

[42] نفسه، ص 131

[43] نفسه، ص 133

الأثير وأزليّة الكون الحالي، على سبيل المثال، مرفوضة في الحال. ويرى أنّ أفلاطون مفكّر منسجم أكثر وجدير بالثقة من الفيزيائيّين الذين لا يجب اتّباع مجرّد توكيداتهم[44].

[الشذرات 125-126]

دليل أرسطو الثالث هو كما يأتي: لا يكون الزمان، أو لا يتصوّر دون «آن». «الآن» هو وسط، أس نقطة وسطى، بين الماضي والآتي؛ ومادام ثمّة زمان دائماً كان وسيكون على طرفي الآن، فإنّ الزمان يجب أن يكون أزليّاً (**ك. الفيزياء** 8، 1، 251 ب 19-28). يتّهم يحيى النحوي أرسطو بالمصادرة على المطلوب: إنّ فرضية كون «الآن» وسط الزمان مساوية لنتيجة أنّ الزمان أزليّ[45].

[الشذرات 127-131]

يقرّر أرسطو أنّه من الممتنع، على حدّ سواء، افتراض حركة أخيرة، (**ك. الفيزياء** 8، 1، 251ب 28-252أ5). لا يتوقّف المتحرّك عن الوجود، في الوقت نفسه، الذي تتوقّف فيه حركته، والفاعل الهدّام سيكون نفسه موضوع هدم، بعد أن يهدّم. لذلك، الحركة لا تتوقّف أبداً. يعترض يحيى النحوي بالقول إنّ دعوى أرسطو غير صحيحة. ثمّة أشياء تتوقّف عن الحركة، وعن الوجود في آنٍ واحد (ش. 128). وأكثر من ذلك، وتماماً كما في حال التكوّن المفاجئ، ثمّة هدم مفاجئ أيضاً؛ ولذلك، فإنّه ليس صحيحاً أنّ كلّ شيء مهدّم قد هُدّم بالحركة (ش. 129). وأخيراً، يعترض يحيى النحوي بالقول إنّه ليس كلّ الأشياء تهدّم من قبل فاعل هدّام من خارج؛ بل إنّ قوّتها الطبيعيّة (ديناميس) تنحلّ بالتدريج إلى أن تفسد في الأخير (ش. 130). ويُتبع ذلك بدليل ضدّ الإسكندر الأفروديسي (ش. 131)[46].

[الشذرة 132]

وفي الأخير، بعد أن فنّد أدلّة أرسطو على أزليّة الحركة والزمان، يقدّم يحيى النحوي دليلاً متميّزاً يبرز فيه أنّ الحركة، ومن ثمّ الزمان، لابدّ من أنّهما حادثان. يفترض يحيى النحوي قضايا ثلاثاً: أوّلاً: إنّ كلّ شيء حادث يقتضي شيئاً منه حدث؛ ثانياً: إنّ من المستحيل قطع ما لا نهاية له، ولا الزيادة فيه؛ وثالثاً: إنّ ما يحتاج إلى عدد لا نهاية له من الأشياء، قبل حدوثه، سوف لن يحدث أبداً. ولأنّه من البديهي أنّ الأشياء قد حدثت الآن، فإنّه ينتج عن ذلك أنّ المسار الماضي للحدوث المتعاقب يجب أن يكون متناهياً.

---

[44] نفسه، ص 137

[45] نفسه، ص 139

[46] نفسه، ص 140

ومن ثمّ، فمن الممتنع أن تكون حركة الأجرام السماويّة -التي هي علّة الكون والفساد- حركة أزليّة، وهو أمر يبيّنه، أيضاً، يحيى النحوي من خلال دليل مستقلّ: من الممتنع أن تكون الحركات الدائريّة لأيّ واحد من الكواكب حركة غير متناهية؛ لأنّها سوف تتضمّن القول بتعدّد ما لا نهاية له[47].

[47] نفسه، ص 143

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com
www.mominoun.com